

اسم المادة: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

من سلسلة: آيات تتلى

لفضيلة الشيخ: عمرو الشرقاوي

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً
من سلسلة: آيات تتلى
لفضيلة الشيخ: عمرو الشرقاوي

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على إمام الأتقياء وسيد المرسلين نبينا محمدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين-، وبعد:

يقول الله -سبحانه وتعالى-: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إسرائيل * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرض الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ" السجدة٢٣: ٣٠.

هذه الآيات ربنا -سبحانه وتعالى- افتتحها بذكر الكلام عن موسى -عليه الصلاة والسلام-، يقول الله -عز وجل-: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إسرائيل"، ربنا -سبحانه وتعالى- ذكر المعرضين عن آيات القرآن الكريم، الذين أعرضوا عن الوحي، الذين ابتعدوا عن منهج الهدى الذي وضعه الله -عز وجل- للبشر "لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ"، وذكر الله -عز وجل- أحوال الخاضعين الساجدين له -سبحانه وبحمده-، وذكر أحوال الضد من هؤلاء، وقال الله -عز وجل-في ختام المقطع السابق: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ"، فجاءت هذه الآيات كنوع من أنواع التسلية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن ما لَقِيَه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- من قومه هو ما لَقِيَه موسى -صلوات الله وسلامه عليه-، ولذلك

قال الله -عز وجل-: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ" يعني أرسلناه كما أرسلناك، وأنزلنا عليه كتابًا كما أنزلنا عليك.
قال الله -تعالى-: "فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ" والمرية: هي الشك والتردد، يعني لا تكن ممتريًا في أنك مثل موسى -عليه الصلاة والسلام-، سينالك مثل ما نال موسى -عليه الصلاة والسلام- من قومه، ولذلك كَثُر الحديث عن موسى -عليه الصلاة والسلام- في القرآن الكريم، أكثر نبي ربنا -سبحانه وتعالى- تحدث عنه في القرآن الكريم هو موسى -عليه الصلاة والسلام-، ليه؟ لأنه عالج أمةً عظيمة؛ عالج الكفار، وعالج من آمن به، عالج فرعون، وعالج قارون، وعالج السامريَ، وعالج بني إسرائيل على اختلافهم واختلاف طوائفهم وتنوع أحوالهم؛ ولذلك



ربنا –سبحانه وتعالى– كرر ذكر موسى –عليه الصلاة والسلام– في القرآن، وهي؛ قصة موسى –عليه الصلاة والسلام– هي أعظم قصص القرآن الكريم، أعظم قصة في القرآن الكريم هي قصة موسى –صلوات الله وسلامه عليه–.

فربنا –سبحانه وتعالى– يقول للنبي –عليه الصلاة والسلام–: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ" أي: فلا تكن في مريةٍ من لقاءٍ كلقائه، فلا تكن في مريةٍ من لقاءٍ كلقائه، فيه معنى: فلا تكن في مريةٍ أن يصيبك ما أصابه، وأن يكون الضمير عائد إلى موسى –عليه الصلاة والسلام–، أو يكون المعنى فلا تكن في مريةٍ من لقاءٍ من أنك ستلقى مثلما لقي موسى –عليه الصلاة والسلام–، كما قال الله –عز وجل–: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا" الأنعام:٣٤، وقال الله –تعالى–: "وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرض لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا" الإسراء٧٦:٧٧، وده من أحسن الأوجه في تفسير هذه الآية المباركة.

وفي هذه الآية تعريضٌ بالمشركين الذين لم يشكروا نعمة الله –عز وجل– عليهم أن أرسل إليهم محمد –عليه الصلاة والسلام– بالقرآن فأعرضوا، وكان ينبغي منهم أن يكونوا أحرص الناس على اتباعه، وعلى الاهتداء بالقرآن، والاهتداء بمحمد –عليه الصلاة والسلام– "وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرضۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ" الشورى٥٢:٥٣.

يقول الله –تعالى–: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إسرائيل"، "وَجَعَلْنَاهُ" إما أن يكون موسى –عليه الصلاة والسلام–، وإما أن يكون الكتاب، وإما أن يكون موسى والكتاب معًا؛ لأن موسى –عليه الصلاة والسلام– طريق من طرق الهداية، والكتاب طريقٌ من طرق الهداية، فربنا –سبحانه وتعالى– هدى بني إسرائيل، أو جعل موسى –عليه الصلاة والسلام– وجعل الكتاب من أسباب هداية بني إسرائيل، كما جعل محمد –عليه الصلاة والسلام– وجعل كتاب محمدٍ –عليه الصلاة والسلام– من أسباب هداية هذه الأمة.

قال الله –عز وجل–: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إسرائيل * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواۖ" هذه الآية أيها الكرام تتحدث عن الساجدين، وكيف أن هؤلاء الساجدين الخاضعين لله –سبحانه وتعالى– يكونون في أعلى مقام؛ يُحصِّلون مقام الإمامة في الدين، وهذا مقامٌ عظيمٌ لا يرتقي إليه إلا من وفقه الله –سبحانه وتعالى–.

فربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا" لكن كان الوصول إلى هذا المنصب لابد أن يدفعوا له الثمن، لا يصل أحد إلى الإمامة في الدين إلا حين يدفع الثمن، لما سئل الإمام الشافعي –رضي الله عنه وأرضاه–: "أيهما أحب إليك؟ أن يُمكَّن الرجل أم يُبتَلى؟" فقال –رضي الله عنه وأرضاه– هو يُرسِي هذه الحقيقة التي أرساها القرآن، "قال: لا يُمكَّن حتى يُبتَلى" قال لا يُمكَّن حتى يُبتَلى، فربنا –سبحانه وتعالى– يقول ويذكر في هذه الآية شرط الإمامة في الدين؛ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، يعني ما الذي فعلوه؟ قال الله –عز وجل–: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا" أي: حين صبروا، وهذه قراءة الجمهور "لَمَّا صَبَرُوا"، يعني جعلناهم أئمة حين صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون، وفي القراءة الأخرى: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا"، لِمَا صبروا أي: جعلناهم أئمة لأجل صبرهم وإيقانهم.



قال الله –تعالى-: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" فشرط الإمامة في الدين، شرط أن يكون الإنسان إمامًا في الدين له شرطين:

الشرط الأول: أن يكون صابرًا؛ يعني أن يصبر على مشقة التكليف، أن يصبر على مشقة تحصيل العلم، أن يصبر على مشقة ما يصيبه من أذى في الدنيا، أن يصبر على مشقة تبليغ الحق لخلق الله –سبحانه وتعالى-، أن يصبر على مشقة الدنيا بأسرها "لَمَّا صَبَرُواۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ".

الشرط الثاني: أن يتمسك بهذا الكتاب، والذين يُمَسِّكُونَ ، ربنا –سبحانه وتعالى- يقول: "وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ"، "وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ" الأعراف:١٧٠، لم يقل الصالحين –سبحانه وتعالى-، لم يقل المحسنين، وإنما قال: "وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ" الذين يتمسكون بحبل الله "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا" آل عمران:١٠٣، هذا شرط من شروط تحصيل الإمامة في الدين، لا يكون الإنسان إمامًا في الدين وهو مبتعد عن القرآن الكريم، لا يكون الإنسان إمامًا في الدين وهو بعيدٌ عن هُدى وهَدي الوحي "قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي" سبأ:٥٠، فإذا أراد الإنسان أن يكون إمامًا في الدين فلابد أن يكون صابرًا، ولابد أن يكون متمسكًا بالكتاب، ولذلك قال مجاهد –رحمه الله تعالى- في قوله –عز وجل-: "وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" الفرقان:٧٤، قال: "لا يكون الإنسان إمامًا للمتقين إلا إن كان المتقون أئمة له –قبله أئمة له، لا يحصل الإنسان هذه المرتبة إلا إن سلك طريق أئمة المتقين" وأئمة أهل التقى وأئمة أهل الدين هم أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام-، صبروا وتمسكوا بالقرآن العظيم، صبروا على مشقة تبليغ الدين، صبروا على مشقة ترك أوطانهم وبلادهم وهاجروا في سبيل الله –سبحانه وتعالى-، صبروا على مشقة إن همَّا يعني يتخلصوا من أموالهم لإخوانهم "وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" الحشر:٩، صبروا على مشقة أن يخرجوا من مدينة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ليبلغوا الدين إلى أقطار الدنيا، صبروا على التمسك بهذا القرآن العظيم، صاروا أئمة بخدمتهم لكتاب الله –سبحانه وتعالى-، أبو بكر الصديق يجمع القرآن، عمر بن الخطاب يقيم مجالس التفسير، عثمان بن عفان يجمع القرآن، علي بن أبي طالب يقيم مجالس التفسير، الصحابة –رضي الله عنهم وأرضاهم- لو تأمل الإنسان في سيرهم وأحوالهم سيجد أنهم حصَّلوا الإمامة في الدين بهذه الشروط، حصلوا الإمامة في الدين بتوفرهم على كتاب الله وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، تمسكًا وعملًا وإيقانًا وبصبرهم على هذه الحياة الدنيا وما لاقاه أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم- فيها.

قال الله –تعالى-: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً" يعني من بني إسرائيل، لكن هذا سبيل أئمة الدين عمومًا في هذه الأمة وغير هذه الأمة.

"وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواۖ" وهذا فيه بشارة لأصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم-، وأنهم سيكونون أئمة في الدين؛ لأنهم حصَّلوا هذه الشروط.

"وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ".

قوله –سبحانه وتعالى-: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا" يثير سؤال في نفس السامع، كأنه يقول: طيب بني إسرائيل اختلفوا وانحرفوا ونحن شاهدناهم، يعني أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام- شاهدوا هؤلاء من بني إسرائيل شاهدوهم وشهدوا هذا الانحراف الذي حصل منهم، ومع ذلك ربنا –سبحانه وتعالى- يجيب عن هذا السؤال، يقول كيف أن هؤلاء تركوا الهداية، تركوا هداية أئمتهم، قال الله –عز وجل-: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" لَمَّا ترك هؤلاء هذه الهداية وانحرفوا عنها، فإن الله –عز وجل- قد تولى الفصل بينهم يوم القيامة. "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ" وهذا فيه تحذير، تحذير لهذه الأمة، وإيماء أنهم لابد أن يتجنبوا هذا الاختلاف الذي حصل في



أصل الدين، الذي لا مصلحة للأمة ولا مصلحة لفهم الدين فيه، فلذلك ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ".

ثم قال الله –عز وجل–: "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ" يعني هذا عطف على قوله –تعالى–: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ"، يعني هذه الجملة اللي هو "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسرائيل * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" هذه الجملة؛ جملة اعتراضية، أو جملة معترضة، الجملة معترضة يعني: هذه الجملة بين جملتين، هذه الجملة تسلية للنبي –عليه الصلاة والسلام–، لذلك قوله –تعالى– "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ" يعني الذين كذبوا بآيات الله، الذين ابتعدوا عن منهج الله، الذين تركوا السجود الحق لله –سبحانه وتعالى–، "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ" يعني ربنا –سبحانه وتعالى– يذكِّر هؤلاء الذين يقولون: "أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرض أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ".

ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا" يقول لهؤلاء نحن عاقبنا هؤلاء الذين كذَّبوا، عاقبناهم وأنتم ترون عقوبة هؤلاء، يقول: "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا" يعني يُبَيِّن لهم، يُوَضِّح لهم، يرون بأعينهم، "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ" وهذا الاستفهام أيضًا استفهام انكاري، يعني هم لم يهتدوا بدلائل النظر والاستدلال، طيب أفلا يهتدي هؤلاء بما يرونه بأعينهم؟ القرآن مش نفعهم، كلام النبي –عليه الصلاة والسلام– لم ينفعهم، طيب ينفعهم اللي هم شايفينه! شايفين مصارع الأمم الكافرة التي يحتفلون بها –والعياذ بالله–، هذه الأمم الكافرة أهلكها الله –عز وجل–، وأبادها الله –تبارك وتعالى–، وصب الله –عز وجل– عليهم العذاب صبًا "وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ" الفجر١:٦، هذه هي الآية، "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ"، قال الله –عز وجل–: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ" الفجر٦:١٤.

قال الله –تعالى–: "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ" يعني ألم يُبَيَّن لهؤلاء ويُوَّضح لهم "كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ" فالمفروض إن الإنسان لما يشوف مصارع هذه الأمم، وما حصل لهذه الأمم من إهلاك الله –عز وجل– لهم أن يكون عندهم، أن يُزجَروا، تزجر قلوبهم المبتعدة عن دين الله –عز وجل– ووحيه.

ولذلك قال الله –تعالى–: "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ"

وجاء هنا "أَفَلَا يَسْمَعُونَ"، "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ" مع الهداية، ليه؟ لأن فعل الهداية يدل على الدلالة الجامعة للمشاهدة ولسماع أخبار تلك الأمم، يعني حتى لو الإنسان مشافش الأمم دي بس سمع بهذا الإهلاك الذي أهلك الله –عز وجل–به هذه الأمم، ولذلك قال الله –تعالى–: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ".

وقوله –عز وجل–: "يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ" حال من فاعل أَوَلَمْ يَرَوْا، يعني هم يمرون على المواضع؛ لأن طبعًا بقايا ثمود، بقايا قوم ثمود موجودة، بقايا قوم ثمود موجودة، وبقايا قوم عاد موجودة، حِجر ثمود وديار مدين كانوا يشاهدونه؛ ولذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– لما مر عليها قال النبي –عليه الصلاة والسلام– مر سريعًا على ديار هؤلاء المعذبين، والنبي –عليه الصلاة والسلام– أمر الصحابة ألا يشربوا من هذه



المياه؛ من مياه المعذبين، ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا" الفرقان:٤٠، يعني أفلم يتعظ هؤلاء بما حصل للأمم من قبلهم؟ الله –عز وجل– يقول: "يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ".

ثم قال الله –تعالى–: "أَوَلَمْ يَرَوْا" زي "أَوَلَمْ يَهْدِ" عطف على "أَوَلَمْ يَهْدِ"، "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرض الْجُرُزِ" وهذا فيه استدلال على البعث الذي أنكروه، البعث الذي أنكره هؤلاء من أهل الشرك، ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ" يعني يزجي، السَوْق هو إجزاء الماشي من ورائه، يسوقه من ورائه، فربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ"، "الْمَاءَ" اللي هو ماء المُزن، يعني يسوق السحاب التي تحمل هذا الماء بالرياح التي تنقل السحاب.

يقول الله –تعالى–: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرض الْجُرُزِ"، "إِلَى الأرض الْجُرُزِ" والجرز اسمٌ للأرض التي انقطع نبتها، وهو مشتق من الجرز، والجرز: انقطاع النبت والحشائش عن الأرض إما بسبب يُبس الأرض أو بالرعي، ولذلك يسمى السيف القاطع جُرَازا، يسمى السيف القاطع جُرَازا، فالله –عز وجل– يقول: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرض الْجُرُزِ" فالأرض الجرز هو الأرض التي انقطع نبتها، هي الأرض التي انقطع نبتها.

يقول الله –عز وجل–: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرض الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ" فهذا دليلٌ على إمكان البعث، وتقريبه بإخراج النبات من الأرض بعد أن زال، الأرض ليس فيها نبات، ينزل الله –عز وجل– عليها المطر، فتُخرِج هذه الخيرات "اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" الحج:٥.

قال الله –تعالى–: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرض الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ" وطبعًا الحكم هنا جاء بالإبصار، في المرة الأولى جاء "أَفَلَا يَسْمَعُونَ"، "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ"؛ لأن العِظة تحصل حتى بسماع أخبار هؤلاء المعذَبين، لكن هنا بالمشاهدة؛ مشاهدة البصر إن هم بيشوفوا الأرض الجرز التي لا نبت فيها، ينزل الله –عز وجل– عليها الماء فتخرج النبات "اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"، فربنا –سبحانه وتعالى– قال هنا: "أَفَلَا يُبْصِرُونَ".

"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرض الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ" والحكم هنا أُنِيط بالبصر؛ لأن دلالة إحياء الأرض بعد موتها دلالة مشاهدة، الإنسان بيشاهد هذا.

ثم قال الله –تعالى–: "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" هذا وقع عقب الإشارة إلى دليل وقوع البعث، اللي هو يوم الفصل؛ لأن طبعًا بعث الناس هذا هو يوم الفصل، فهم يقولون تهكمًا، هم يقولون تهكمًا، الذين قالوا: "أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرض أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ" يكذِّبون بالبعث، ويتهكمون به "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ" يعني النصر والقضاء؛ نصر أهل الإيمان، متى يُفتح على أهل الإيمان ويظهر فوزهم، وخيبة أعدائهم؟

قال الله –تعالى–: "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" يعني إن كنتم صادقين أنه واقع فبيّنوا لنا وقته، ودا طبعًا من السفسطة الباطلة؛ لأن العلم بالشيء إجمالًا لا يقتضي العلم به تفصيلًا، فلذلك قولهم: "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْح" النصر الذي وُعِدتم به متى يكون؟ "إِنْ كُنتُمْ





صَادِقِينَ". فأعرض الله عن جوابهم، وهذا يسميه العلماء بالأسلوب الحكيم، بالأسلوب الحكيم؛ إن الواحد لا يجيب عن السؤال أصلًا، زي ما الراجل سأل الأمير أو الأمير قال له: لأحملنَّك على الأدهم، الأدهم اللي هو الحديد، يعني بيقول له: أنا إيه؟ أحبسك، فقال له: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشقر، الأدهم اللي هو الأسود، فهو بيقول له أنا هحبسك، فقال له الأمير فعلًا الأمير يعملها، يحمل على الأدهم والأشقر، يعني الأدهم اللي هو الأسود من الخيل، والأشقر اللي هو غير الأسود من الخيل، فلم يلتفت إلى كلامه وحمل كلامه على غير ذلك، فهذا يسمى بالأسلوب الإيه؟ بالأسلوب الحكيم، إنك أنت تعرض أصلًا عن الجواب وتذكر شيء آخر.

قال الله –عز وجل–: "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ" يعني النصر "إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" قال الله: "قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ". يوم الفتح، وشوف ربنا –سبحانه وتعالى– يقول –سبحانه وتعالى–: "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ" هذا الفتح، فهذا، اسم الإشارة ده يفيد التحقير وقلة الاكتراث به، إن هم مش مكترثين أصلًا بيوم القيامة. قال الله –سبحانه وتعالى–: "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ" لأنه خلاص يوم القيامة "لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا" الأنعام:١٥٨.

"قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ" والانتظار هو الترقب، وأصله مشتقٌ من النظر. "فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ"، وشوف ربنا –سبحانه وتعالى– حذف مفعول انتظر، يعني انتظر إيه؟ ينتظر إيه دي؟ "فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ" فحُذِف مفعول انتظر للتهويل، للتهويل، وده من بلاغة كتاب الله –سبحانه وتعالى–، أن قال الله –عز وجل–: "فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ" يعني هم ينتظرهم سنين يكون لهم فيها الخسران؛ ولذلك هزم المشركون يوم بدر، ويوم فتح مكة، وهذان اليومان بعد نزول هذه السورة لا محالة، فلذلك هذه فيها بشارة للمؤمنين بالنصر، وتعريض بالوعيد للمشركين في الدارين.

قال الله تعالى–: "فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ" يعني إنهم منتظرون لكم الفرصة لحربكم ولإخراجكم كما قال الله –تعالى–: "أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ" الطور:٣٠، وقال الله –سبحانه وتعالى–: "وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ" التوبة:٩٨، ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ".

هذه أيها الكرام صفات غير الساجدين، ربنا –سبحانه وتعالى– في هذه السورة المباركة بين لنا صفات الساجدين الخاضعين الذين يصيرون أئمة من أئمة الدين بتمسكهم بالكتاب وصبرهم عليه، ثم ذكر الله –عز وجل– أحوال غيرهم أيضًا، وذكر في هذه السورة الدليل على إمكان البعث، وأن الله –عز وجل– سيبعث هؤلاء جميعًا ليقفوا بين يديه –سبحانه وتعالى– "لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" المطففين٥:٦، "وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ" الانفطار١٧:١٩.

سورة السجدة من السور العظيمة، التي لابد أن يحرص الإنسان على فَهمها وعلى إعادة قراءتها، بل على إعادة قراءتها من كتب تفسيرٍ مختلفة، إنه يقرأ ويتأمل في هذه السورة، وما بثه الله –عز وجل– هذه السورة من الآيات الباهرات، ومن الحكم البالغات، انظروا كيف يصير هذا الساجد إمامًا من أئمة الدين "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"، فربنا –سبحانه وتعالى– يطمئن أهل الإيمان، ويبعث في أهل الايمان الطمأنينة والسكينة أن الله –عز وجل– بيده مقاليد كل شيء، وأن الله –عز وجل سبحانه وتعالى– ينصر من شاء –سبحانه وتعالى– بما شاء –سبحانه وبحمده–، وأن الله –سبحانه وتعالى– إذا خضع الإنسان له، وإذا استقام الإنسان على منهج ربه



-سبحانه وتعالى- صار إمامًا من أئمة الدين، وأن على أهل الايمان ألا يكترثوا بهؤلاء الضالين، المكذبين للبعث، وأن على المؤمن أن يحرص على أن يكون ذاكرًا متذكرًا، مُذكِّرًا بالدار الآخرة، أن يكون من أهل هذه الدار الآخرة "إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ" ص:٤٦.

كانت هذه إطلالةٌ سريعةٌ على سورة السجدة، أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا من أهل النعيم المقيم، وأن يرزقنا فهمًا في كتابه، وأن يرزقنا عملًا به، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا، وذهاب همومنا وأحزاننا، هذا وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير وعلى آله وأصحابه أجمعين.